

سُنَّة الأذى في القران الكريم – دراسة موضوعية

أ.م. ناصر يوسف عبدالله

جامعة الموصل

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم علوم القران والتربية الاسلامية

Sunnah of Harm in the Holy Quran an Objective Study

Asst. Prof. Nasser Yousuf Abdulla

nasser.yousuf@uomosul.edu.iq

ملخص البحث

اهتم القران الكريم ببيان السنن الالهية الحاكمة في الافراد والامم والجماعات، وأشار إليها في العديد من نصوصه، وهذا البحث يتناول إحدى هذه السنن الالهية التي تصيب أصحاب الدعوات خلال سعيهم لتحقيق منهج الله في الأرض، وما يلاقونه من عقبات، وما يصيبهم من أذى بسبب إيمانهم ودعوتهم الناس الى عبادة الله وحده. واستجلاء لهذه السُنّة الالهية ، وبياناً لحقيقتها، جاء اختيار (سُنَّة الأذى في القران الكريم – دراسة موضوعية) عنواناً للبحث, واقفين مع هذه السنّة الثابتة، مبينين مدى الاذى الذي يتعرض له رسل الله والصالحون من عباده ؛ لأجل ثباتهم على الايمان، ودعوتهم الى دين الله. **الكلمات المفتاحية: السُنن الالهية – الافراد– الأذى – الرسل – الصالحون**

Abstract

This research deals with one of these divine laws that afflict the proponents during their quest to achieve Allah's method in the earth, the obstacles they face, and the harm they suffer because of their faith and calling people to worship Allah alone. To clarify this divine Sunnah, and to show the truth, the choice of (Sunnah of harm in the holy Quran –an objective study) is the title of the research, standing with this fixed Sunnah, and indicating the extent of harm suffered by the prophets and righteous of Allah's slaves because of their faith and their faith and their calling for worshiping Allah alone.

Key words: divine laws, individuals, harm, prophets, righteous of Allah's slaves

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. **وبعد:** النظر في السنن الإلهية فريضة وضرورة، فهو فريضة للآيات الكريمة التي تحث على النظر والتفكر والاعتبار بمن سبقوا، فالسعيد من وعظ بغيره. وضرورة لفهم الظرف الراهن الذي يمر به الاسلام والمسلمون اليوم، ولأمر ما جاءت توجيهات القران عقب كل حادثة أو قصة مليئة بالدروس والعبر، ومؤصلة لسنة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير. ولما كانت الدعوة إلى دين الله أجلَّ الدعوات وأكرمها، وتدعو إلى أمر عظيم؛ كان الأذى الذي يواجه أصحابها، والعقبات التي تقف في طريقهم جمَّة وكبيرة، وسُنَّة ثابتة لا تبديل فيها ولا تغيير. ونجاح الدعوات جميعها إنما يعتمد على مدى صبرها وقدرتها على تحمل الأذى والمكاره. واستجلاء لهذه السُنّة، وبياناً لحقيقتها، جاء اختيار عنوان البحث (سُنَّة الأذى في القران الكريم – دراسة موضوعية) واقفين مع هذه السنّة الثابتة، مبينين مدى الاذى الذي يتعرض له رسل الله، والصالحون من عباده ؛ لأجل ثباتهم على الايمان، ودعوتهم الى دين الله. إن الاشكالية التي يعالجها البحث، هي الاجابة على الاسئلة الثابتة لدى كل داعية الى منهج الله، لِمَ نتعرض للأذى ونحن ندعو الناس الى دين الله ودعوة الحق!؟ وما الذي جنيناه كي نقابل بكل هذا الصد والرد ؟ ونتحمل كل هذا الاذى النفسي والجسدي ؟ ثم سؤال المِحنَة، والذي يتردد دوماً " مَتَى نَصْرُ اللَّهِ "؟. إن أهمية البحث تنبثق في الاجابة على هذه الأسئلة من خلال القران الكريم نفسه، مع بيان حقيقة الاذى، واسبابه، وأساليب مواجهته، وكونه سنة ثابتة من سنن الله.**خطة البحث:** بدأ البحث بـ" مقدمة " بينت سبب اختياره، ومدى أهميته، والاشكالية التي يعالجها. ومن ثَمَّ قُسّم الى ثلاثة مباحث: المبحث الأول: مفهوم سنة الأذى لغة واصطلاحاً، وفي الاستعمال القرآني. وفيه مطلبان. المبحث الثاني: سنة الأذى في سبيل الله بين الابتلاء والامتحان . وفيه ثلاثة مطالبالمبحث الثالث: إيذاء الله ورسله والمؤمنين. وفيه ثلاثة مطالب. الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج والتوصيات.وختاماً: لا ندعي الكمال لهذا البحث فالكمال لله وحده، ولكنه محاولة لدراسة سُنّة من سنن الله، استنطاقاً من النص القرآني، واسقاطاً على الواقع، فإن أصبنا فبفضل من الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ونستغفر الله، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول : مفهوم سنة الأذى

المطلب الأول : المعنى اللغوي والاصطلاحي لسنة الأذى.

السُّنَّة لغة: "السِّيرَةُ، حَسَنَةً كَانَتْ أَو قَبِيحَةً" (١)، قال ابن الأثير:" وَالْأَصْلُ فِيهَا الطَّرِيقَةُ والسِّيرة.. وَفِي حَدِيثِ الْمَجُوسِ «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أهلِ الْكِتَابِ» أَيْ خُذُوهم عَلَى طَرِيقَتِهِمْ وأَجْرُوهم فِي قَبُول الجِزْية مِنْهُمْ مُجْراهُم" (٢). وقال الفيروزآبادي في معنى السنّة:" والأَصل فيها الطريقة والسيرة، ومنه قوله ﷺ: "مَنْ سَنَّ سُنَّة حَسَنَة" أى طَرَّق طريقة حَسَنة.. وسُنَّة النبىّ ﷺ: طريقته التي كان يتحرّاها"(٣).

السُّنَّة اصطلاحا: قال ابن تيمية:" وَ" السُّنَّةُ " هِيَ الْعَادَةُ الَّتِي تَتَضَمَّنُ أَنْ يَفْعَلَ فِي الثَّانِي مِثْلَ مَا فَعَلَ بِنَظِيرِهِ الْأَوَّلِ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالِاعْتِبَارِ وَقَالَ:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[يوسف:١١١].. أَفَادَ أَنَّ مَنْ عَمِلَ مِثْلَ أَعْمَالِهِمْ جُوزِيَ مِثْلَ جَزَائِهِمْ" (٤). وقال الامام الرازي:" وَأَمَّا السُّنَّةُ فَهِيَ الطَّرِيقَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ وَالْمِثَالُ الْمُتَّبَعُ " (٥). وقال مثله صاحب المنار:" السُّنَنُ جَمْعُ سُنَّةٍ وَهِيَ الطَّرِيقَةُ الْمُعَبَّدَةُ



وَالسِّيرَةُ الْمُتَّبَعَةُ أَوِ الْمِثَالُ الْمُتَّبَعُ"(٦). وبناء على ما تقدم يمكن تعريف السنة اصطلاحاً بأنها:" الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر، بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"(٧).

الأذى لغة: مصدر قولهم: أذي الشّيء يأذى، وهو مأخوذ من مادّة (أذى) الّتي تدلّ على الشّيء تتكرَّهه ولا تقرّ عليه. قال الفراهيدي:" الأَذَى: كُلُّ ما تَأَذَّيتَ به، ورجل أَذِيٌّ، أي شديدُ التَّأَذِّي"(٨).ومن ذلك الإيذاء، يقال: آذيت فلانا أوذيه: أي ألحقت به ما يكره. وفي اللسان:" بَعيرٌ أَذٍ عَلَى فَعِلٍ، وَنَاقَةٌ أَذِيَةٌ:لَا تَسْتَقِرُّ فِي مَكَانٍ مِنْ غَيْرِ وَجَعٍ وَلَكِنْ خِلْقَةً كأَنها تَشْكُو أَذىً"(٩).ومن ذلك "الآذيّ وهو الموج المؤذي لركّاب البحر"(١٠)

الأذى اصطلاحا: قال الرّاغب: " الأذى: ما يصل إلى الحيوان من الضّرر، إمّا في نفسه، أو جسمه، أو تبعاته، دنيويّا كان أو أخرويّا" (١١). وذكره المناويّ مع تعديل يسير فقال:" الأذى: ما يصل إلى الحيوان من ضرر، أو مكروه في نفسه، أو بدنه، أو فئته، دنيويّا كان أو أخرويّا" (١٢). والملاحظ من التعريفين السابقين أنهما قصرا الأذى على الحيوان، ولعلهما قصدا بذلك كل ما كان حيًا؛ وبخاصة الانسان، في حين نجد أن آيات الأذى الواردة في القرآن تناولت الأذى الواقع على الانسان خصوصاً، وعليه فإن الأذى: هو الضرر الواقع على الانسان في نفسه، أو جسمه، أو فئته، دنيويّا كان أو أخرويّا.

المطلب الثاني : الأذى في الاستعمال القرآني.

وردت مادة (أذي) في القران الكريم (٢٤) مرة (١٣). والصيغ الواردة فيها هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	٢	...نَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا)[الأح...
الفعل المضارع	٩	...سَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ)[الصف:٥].
فعل الأمر	٤	...نِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا)[النساء:١٦].
المصدر	٩	إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ) [آل عمران:١١١].

وقد جاءت كلمة الأذى في القرآن الكريم بعدة معاني(١٤):

الأوّل: بمعنى القمل:﴿ أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ﴾[البقرة:١٩٦] .

الثّاني: بمعنى الحرام:﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً﴾ [البقرة:٢٢٢] أي حرام.

الثّالث: بمعنى المنّ عند العطيّة: ﴿ لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذى﴾[البقرة:٢٦٤].

الرّابع: بمعنى الشّتم والسّبّ:﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً﴾[آل عمران:١١١]، ﴿.. وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً ﴾[آل عمران:١٨٦]، ﴿ وَاللَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما﴾[النساء:١٦].

الخامس: بمعنى الشدّة والمحنة:﴿ إِنْ كانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ﴾[النساء:١٠٢] .

السّادس: بمعنى العذاب والعقوبة:﴿ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾[العنكبوت:١٠] .

السّابع: بمعنى شغل الخاطر وتفرقة القلب: ﴿ إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾[الأحزاب:٥٣].

الثّامن: بمعنى الجفاء والمعصية:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[الأحزاب:٥٧] أي يعصونهما.

التّاسع: غيبة المؤمنين:﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾[الأحزاب:٥٨].

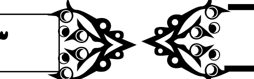
العاشر: بمعنى الزّور، والبهتان على البريء:﴿ كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى ﴾[الأحزاب:٦٩]،﴿ يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي ﴾[الصف:٥].

المبحث الثاني: سنة الأذى في سبيل الله بين الابتلاء والامتحان

إن الباري ﷻ بيّن في كتابه الكريم الغاية من هذه الحياة الدنيا، وذكر أنها دار ابتلاء واختبار، وليست دار نعيم وقرار. قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[الملك:٢]. ولن يكون ابتلاء وامتحان دون معاناة، لذا كانت الحياة شاقة ومليئة بالأذى والصعوبات، قال تعالى:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[البلد:٤]، أي: في عناء ومشقة.

ولمَّا كانت الدعوة إلى دين الله أعظم الدعوات وأكرمها؛ كانت العوائق والعقبات في سبيلها أكبر من غيرها وأقوى؛ لذلك كان الأذى المصيب لأصحابها نفسياً وجسدياً نتيجة حتمية، وسُنَّة ثابتة.

المطلب الأول : الأذى في سبيل الله سُنّة إلهية.

إن البشرية جمعاء تخضع لقوانين ثابتة، وقواعد مطردة، يسميها القرآن بالسُنن، وهذه السُنن تتعلق بتصرفات الناس وأفعالهم وسلوكهم في الحياة، وما يكونون عليه من أحوال، وما يترتب على ذلك من نتائج، كالرفاهية أو الضيق في العيش، والسعادة والشقاء، والعز والذل، والرقي والتأخر، والقوة والضعف، وما يصيبهم في الدنيا والآخرة من عذاب أو نعيم (١٥). ومادامت سُنة الله هي القانون العام الذي يحكم أفعال البشر وسلوكهم؛ فلابد لها من خصائص وسمات تحفظ لها استمرارها وعدالتها المبنية على الحكمة البالغة. ومن أبرز خصائصها:

أولاً: الثبات: المقصود بالثبات أنها لا تتغير عن ماهيتها، وأن ما أجرى الله ﷻ به العادة لم يتهيأ لأحد أن يقلب تلك العادة، ولا أن يخالفها الى غيرها؛ لأنها مقتضى حكمته وعلمه فلا تجري متعلقاتها إلا على سَنَن واحد. وقد جاءت الآيات صريحة في هذا المعنى، حيث تكرر قوله ﷻ: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[الأحزاب:٦٢](١٦). أي: " ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييرا، بل ذلك دائم، للإحسان جزاءه من الإحسان، وللإساءة والكفر العقاب والنكال"(١٧). والنكرة في سياق النفي تفيد عموم عدم وقوع أي تبديل من أي وجه لسنة الله ﷻ. وقد أكدت بعض الآيات هذا المعنى، فقرنت بين عدم التبديل وعدم التحويل، قال تعالى:﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[فاطر:٤٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾[الاسراء:٧٧]. فبقوله تعالى:﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ حصل العلم بأن هذه السنة لا تبديل لها بغيرها. و بقوله سبحانه:﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ حصل العلم بأن هذه السنة تخص صاحبها ولا تتحول عنه الى غير مستحقها (١٨).

ثانياً: الاطّراد: المراد باطّراد السُنن التكرار والتتابع على نهج واحد وطريقة واحدة لا تختلف ولا تتخلف؛ كلما وجدت الأسباب، وتوفرت الشروط، وانتفت الموانع، ولولا الاطراد لم يصح الاعتبار، قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ* هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٧-١٣٨]. وقال سبحانه:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١]. وقال: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[الحشر: ٢]. والدليل على اطرادها " أن الله تعالى قص علينا قصص الأمم السابقة وماحل بها لنتعظ ونعتبر، ولا نفعل فعلهم؛ لئلا يصيبنا ما أصابهم، ولولا اطرادها لما أمكن الاتعاظ والاعتبار بها" (١٩).والاطراد دليل على أَن مُقْتَضى حكمة الله " أنه يقْضِي فِي الْأُمُور المتماثلة بِقَضَاء متماثل، لَا بِقَضَاء مُخَالف، فَإِذا كَانَ قد نصر الْمُؤمنِينَ لأَنهم مُؤمنُونَ كَانَ هَذَا مُوجبا لنصرهم حَيْثُ وجد هَذَا الْوَصْف، بِخِلَاف مَا إِذا عصوا وَنَقَضُوا إِيمَانهم كَيَوْم أحد فَإِن الذَّنب كَانَ لَهُم، وَلِذَا قَالَ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ فَعم كل سُنّة لَهُ، وَهُوَ يعم سنته فِي خلقه وَأمره، فِي الطبيعيات والدينيات"(٢٠).

ثالثاً: العموم: المراد بالعموم هو أن حكم هذه السنن يسري على الجميع دون محاباة أو تمييز، بغض النظر عن أديانهم وأعراقهم، غير مقتصرة على فرد دون فرد ولا على قوم دون قوم. وآيات القران كثيرة وصريحة في هذا المعنى، ومنها قوله تعالى:﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[النساء:١٢٣]. " وَالْمَعْنَى أَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يَلْقَى جَزَاءَهُ ; لِأَنَّ الْجَزَاءَ بِحَسَبِ سُنَّةِ اللهِ تَعَالَى أَثَرٌ طَبِيعِيٌّ لِلْعَمَلِ لَا يَتَخَلَّف" (٢١). فأي مجتمع أخطأ أو انحرف لقي جزاء خطئه وانحرافه ولو كان أطهر أمة، وخير مجتمع؛ لأن " ميزان الثواب والعقاب ليس موكولاً إلى الأماني، إنه يرجع إلى أصل ثابت وسنة لا تتخلف، وقانون لا يحابي. قانون تستوي أمامه الأمم، فليس أحد يمتُ إلى الله سبحانه بنسب ولا صهر، وليس أحد تخرق له القاعدة، وتخالف من أجله السُنّة، ويعطل لحسابه القانون" (٢٢).

المطلب الثاني: تحمل الأذى في سبيل الله سنّة الأنبياء والمصلحين.

إن الأذى الذي يتعرض له الدعاة الى سبيل الله من الأنبياء والمصلحين خلال قيامهم بالدعوة الى دينه واتباع منهجه, سُنَّة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير, بينها القران الكريم في كثير من نصوصه, منها قوله ﷻ:﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[آل عمران:١٨٦]. إن الاختبار والابتلاء سيكون في الأموال والأنفس، وذلك بهلاك الأقرباء والعشائر من أهل النصرة والملّة، وإن سماع الأذى والافتراءات من أهل الكتاب من اليهود كقولهم:﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران:١٨١]، وما أشبه ذلك، والمشركين النصارى فيه الأذى الكثير. فالآية تؤكد أن وقوع الأذى على أهل الايمان أمر حتمي، وسُنّة ثابتة، وتذكر أنواعاً منه: " كالبلاء في الأنفس: بالقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب. وفي الأموال: الإنفاق في سبيل الخير، وما يقع فيها من الآفات. وما يسمعون من أهل الكتاب من المطاعن في الدين الحنيف، وصدّ من أراد الإيمان، وتخطئة من آمن" (٢٣). والرسل أكثر الخلق تعرضاً للأذى، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾[الانعام:٣٤]. كَذَّبتهم أقوامهم كما كَذَّبتك قُريش، ولكنهم صبروا على ما كُذِّبوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهم نَصرُنا بتعذيب من كَذَّبَهُم،(وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) لا ناقض لِما حَكَمَ به، وقد حكم بنصر أَنبيائه عَلَيْهِمُ السَّلام.

المطلب الثالث: أسباب وقوع الأذى على المؤمنين.

أولاً: الحسد والحقد:

الحسد: هو تمني زوال النعمة عن صاحبها سواءً كانت نعمة دين أو دنيا، وهو خلق ذميم يفسد الدين ويؤذي المؤمن، وقد قال تعالى في ذم الحاسدين واستنكار فعلهم:﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[النساء:٥٤]. وقد قيل: أَنَّ " الْحَسَدَ أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فِي السَّمَاءِ، وَأَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ بِهِ فِي الْأَرْضِ فَأَمَّا فِي السَّمَاءِ فَحَسَدُ إِبْلِيسَ لِآدَمَ، وَأَمَّا فِي الْأَرْضِ فَحَسَدُ قَابِيلَ لِهَابِيلَ"(٢٤). قال الغزالي:" اعلم أنّ الحسد من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب"(٢٥). يقول تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغانَهُمْ ﴾[محمد:٢٩]. هل يعتقدُ المنافقون أَنَّ الله لا يكشفُ أمرهم لعباده المؤمنين؟ إن الحقيقة ليست كذلك، بَل سيفضحهم وَيُجَلّي أمرهم حتى يعرفهم أهل الحق ويحذروا منهم." وَالْأَضْغَانُ جَمْعُ ضِغْنٍ، وَهُوَ مَا فِي النُّفُوسِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْحِقْدِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ"(٢٦).وقد بين سبحانه في العديد من آياته مدى الحقد والحسد الذي يُكنّه الكفار، والمشركون، وأهل الشقاق والنفاق لعباده المؤمنين، قال تعالى:﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْواهِهِمْ وَتَأْبى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ﴾[التوبة:٨]. هكذا سيتعاملون معكم إن سنحت لهم الفرصة وتمكنوا من المؤمنين، فلا يراعون ذمة ولا عهدا ولا ميثاقا، بل يستبيحون كل شيء، وهذا إخبار من الحق سبحانه عما في نفوس هؤلاء الكفار من حقد على المؤمنين. إنّ جمهور الحاقدين تغلي مراجل الحقد في أنفسهم؛ لكونهم ينظرون إلى الدنيا فيجدون ما تمنّوه لأنفسهم قد فاتهم، وامتلأت به أكفّ أخرى، وهذه هي الطامّة الكبرى الّتي لا تدع لذواتهم قرارا ولا استقرارا، وهم بذلك يكونون خلفاء إبليس– الّذي رأى أنّ الحظوة الّتي كان يتشهّاها قد ذهبت إلى آدم– فآلى ألّا يترك أحدا يستمتع بها بعدما حُرِمها(٢٧). قال تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾[البقرة:١٠٩]. يبين الزحيلي وجه العلّة لهذه الرغبة، فيقول:" بعد أن نهى الله سبحانه في الآيات السالفة عن الاستماع لنصح اليهود ورفض آرائهم، ذكر هنا وجه العلّة، وهي أنهم يحسدون المسلمين على نعمة الإسلام ويتمنون أن يحرموا منها، فهم لا يكتفون بكفرهم بالنبي والكيد له ونقض العهود، وإنما يتمنون أن يرتد المسلمون عن دينهم"(٢٨).

ثانياً: معرفة الصادقين من الكاذبين: إن الاذى في حقيقته اختبار من الله تعالى لعباده المؤمنين؛ حتى يعلم الصادقين منهم ويعلم الكاذبين، وفي هذا يقول تبارك وتعالى:﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[العنكبوت:٢-٣]. والفتنة هي:" الامتحان بشدائد التكاليف، من مفارقة الاوطان، ومجاهدة الأعداء، وما يترتب عليه من أذى في الأموال والأبدان، وبالفقر، والقحط، وأنواع المصائب، في الأنفس والأموال، وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم" (٢٩). وهذه الآية ابتدأت باستفهام إنكاري المُرادُ به " أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا بُدَّ أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَسْبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ"(٣٠)، وذلك لِيَعلمَ الصادقين فِي دَعواهُمُ الإيمان ويميزهم عن الكاذبين قولاً وادِّعاء، وهذه سنّة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، ولذا نجد أن الله ﷻ امتحن أتباع أنبيائه بأنواع الأذى والمحن، وهي سنة ماضية فيهم كما مضت فيمن سبقهم، وبهذا يظهر صدق الصادق في إيمانه، ويتميز عن كذب الكاذب في ادّعائه.

ثالثاً: الابتلاء والامتحان: قال ابن الأثير:" الابْتِلَاء فِي الْأَصْلِ الاخْتِبار والامْتِحان. يُقَالُ بَلَوْتُهُ وَأَبْلَيْتُهُ وابْتَلَيْتُهُ. وَالمَعْرُوفُ أَنَّ الابْتِلَاء يَكُونُ فِي الْخَيْرِ والشَّر مَعاً مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ بَيْنَ فِعْلَيْهما. وَمِنْهُ قوله تعالى:﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الانبياء:٣٥]" (٣١). إن الباري ﷻ خلق هذه الحياة الدنيا لغاية مقصودة، فخلْقُها ليس من قبيل اللهو والعبث، بل هي دار ابتلاء وامتحان وتوطئة لدار الجزاء في الآخرة، قال تعالى:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون:١١٥]. وهذه الغاية لا تتحقق أو تتجلى إلا عن طريق الابتلاء القائم عليه أصل الخلق، وقد صرح القران بذلك، قال تعالى:﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[الملك:٢]. ولن يكون ابتلاء وامتحان دون معاناة وأذى، لذا كانت الحياة البشرية شاقة لبني الانسان، قال تعالى:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[البلد:٤]. أي في" مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة "(٣٢). وقد جاءت الآيات الكريمات تبين هذه الحقيقة، وتُجلّيها أمام الناظرين، ليستعدوا لها ويثبتوا أمامها، ذاكرة بين ثناياها أنواعاً من الأذى والابتلاءات، التي من الممكن أن تصيب الداعين الى منهج الله والمؤمنين به، فالطريق ليست سالكة، وتحتاج الى صبر وتحمل، لينالوا رضا الله سبحانه، ويفوزوا بجنته. قال تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].يقول القاسمي:" كل قائم بحق، وداع إليه، مُعرّض للابتلاء بما ذكر، كله أو بعضه. والتنوين للتقليل. أي: بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه" (٣٣). وهذا التقليل يبين لنا أن كل أذى يصيب الإنسان، وإن جَلّ في نظره، ففوقه ما هو أشد



وأعظم منه، فهو قليل نسبة إلى غيره، وفي هذا تخفيف عليهم ليريهم أن رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم.وإنما أخبرهم بالابتلاء قبل وقوعه ؛ ليوطّنوا عليه نفوسهم، ويزداد يقينهم، عند مشاهدتهم له حسبما أخبر به الباري ﷻ؛ وليعلموا أنه شيء يسير، له عاقبة حميدة. وقد جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الذي أخرجه الترمذي في جامعه عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، قَالَ:(قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلاَءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ) (٣٤).

إن من سنة الله في عباده المؤمنين أن يُبتلوا بأنواع الأذى، في أموالهم بالإنفاق منها في سبيل الله، وبما يقع فيها من الآفات، وفي أنفسهم بالقتل والجراح والأسر في قتال العدو، وبما يسمعونه من أهل الكتاب والمشركين والكفرة من أنواع الأذى القولي، كالطعن في الاسلام وفي الدعاة إليه، وبإلصاق التهم الباطلة بهم لصد الناس عنهم وعن دعوتهم.قال تعالى:" لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ"[آل عمران:١٨٦].الخطاب للمؤمنين" لِيُوَطِّنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا سَيَلْقَوْنَ مِنَ الْأَذَى، وَالشَّدَائِدِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهَا، حَتَّى إِذَا لَقُوهَا وَهُمْ مُسْتَعِدُّونَ لَا يُرْهِقُهُمْ مَا يُرْهِقُ مَنْ تُصِيبُهُ الشِّدَّةُ بَغْتَةً فَيُنْكِرُهَا وَتَشْمَئِزُّ مِنْهَا نَفْسُهُ" (٣٥). وهذه سنة ثابتة، وقاعدة مطردة، وكأن الآية تُنبّهنا " أَنَّ الْكُفَّارَ بَعْدَ أَنْ آذَوُا الرَّسُولَ وَالْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ فَسَيُؤْذُونَهُمْ أَيْضًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِكُلِّ طَرِيقٍ يُمْكِنُهُمْ، مِنَ الْإِيذَاءِ بِالنَّفْسِ، وَالْإِيذَاءِ بِالْمَالِ" (٣٦).

رابعاً: التمييز والتمحيص والشهادة: إن من أسباب الأذى الذي يتعرض له أهل الايمان التمييز بين الأصيل والدخيل؛ وذلك لتطهير الصف المؤمن من أدعياء الايمان، من المنافقين والذين في قلوبهم مرض. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[آل عمران:١٧٩]. والسبب في ذلك بيان حقيقة الايمان، والتمييز بين الصالح والطالح ؛ لأن" من الناس من يدخل في زمرة المؤمنين، ويلبس لبوسهم، ويتكلم بلسانهم، فإذا أصابته فتنة أو محنة في سبيل دينه، خارت قواه، وانحلت عراه، وبرئ مما كان يدَّعيه من قبل" (٣٧).وفي بيان حقيقة هذا النموذج البشري يقول تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ* وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾[العنكبوت:١٠-١١]. فالأذى الذي يتعرض له أصحاب الدعوات هو الذي يُمَيّز الصف المؤمن ويُمَحّصُه، وينفي عنه الخبث، كما ينفي الكير خبث الحديد؛ ليتميز الصادقون بصدقهم، ويتخذ منهم شُهداء قال تعالى: ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ* وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٠]. التّمحيص:" التنقية والتخليص مِنَ الْعُيُوبِ. وَالْمَحْقُ: الْإِهْلَاكُ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى مَسَّ الْقَرْحِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارَ فَاعِلًا فِعْلًا وَاحِدًا هُوَ فَضِيلَةٌ فِي جَانِبِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَزِيَّةٌ فِي جَانِبِ الْكَافِرِينَ"(٣٨). فللمؤمنين تمحيصٌ، وزيادةٌ في تزكية أنفسهم، واعتبارٌ بمواعظ الله، وأما للكافرين فهلاكٌ وثبور. وفي ذلك تربية للمؤمنين، وصقل لمعادنهم، فهم ينضجون بالمحن والابتلاءات. انَّ مداولة الأيام بين الناس سُنَّةٌ مِنْ سُنن الله الثابتة في الاجتماع البشري؛ ليعلم الَّذين آمنوا من الَّذين نافقوا، فيحصل التمييز والتمحيص. وفي الآية بَيانٌ " أَنَّ الشُّهَدَاءَ يَكُونُونَ مِمَّنْ خَلَصُوا لِلَّهِ وَأَخْلَصُوا فِي إِيمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ فَلَمْ يَظْلِمُوا أَنْفُسَهُمْ بِمُخَالَفَةِ الْأَمْرِ أَوِ النَّهْيِ، وَلَا بِالْخُرُوجِ عَنْ سُنَنِ اللهِ فِي الْخَلْقِ " (٣٩). فالله تعالى لا يصطفي للشَّهادة إلا الأتقياء الخُلَّص، أما الظالمون فليس لهم حظٌ فيها ما داموا على ظلمهم، وفي ذلك بشارةٌ للمتقين، وإنذارٌ للمقصّرين.

المطلب الرابع: أساليب مواجهة الأذى

إن الأذى الذي يتعرض له الصالحون من عباد الله سنّة إلهية على مر العصور والأزمان، والباري ﷻ لم يترك عباده يواجهون صنوف الأذى دون أن يُبيّن لهم أساليب مواجهته، وطرق مقاومته، بحسب نوعه ومقداره؛ ولذلك وجَّهنا في كتابه الكريم الى استخدام الصبر، والتزام التقوى، ثم التوكل على الله، والاحتساب عند الله، و آخرها الاعراض عن المؤذي.

أولاً: الصبر

إذا كان الابتلاء والامتحان واقعاً لامحالة، وهذه سنة الله في الخلق، فلا سبيل للوقوف أمامه إلا بالصبر وتحمل الأذى، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا. فالابتلاءات اختبار لأصحاب الدعوات، والصبر عليها كفيل بانجلائها، ودليل على صدق الايمان وقوة اليقين. يقول الباري ﷻ مخاطبا الجماعة المؤمنة:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤]. هذه الآية تخبرنا أن دخول الجنة لن يكون بمجرد الإيمان،



دون أن يصيبنا ما أصاب من سبقونا من شدائد في الأنفس والأموال، ومن مخاوف أفزعتهم، وأذيات أزعجتهم، حتى بلغ الأمر برسولهم والمؤمنين الذين معه، أن يقولوا وهم في أقصى ما تحتمله النفس البشرية من آلام: متى نصر الله؟!هذا إذن هو سؤال المِحنة، لِمَ نُعذب ونُحارب، ونتحمل صنوف الأذى، ونحن أصحاب الحق، ودعاة الفضيلة؟!. والجواب: أن تحقيق منهج الله في الأرض لابد له من ثمن يدفع، وأن " الجنة لابد لها من ثمن، وهي سلعة غالية، فلا مفر من الثمن، وقد دفعه أصحاب الدعوات من قبل فلابد أن يدفعه إخوانهم من بعد. وهذا هو ثمن الجنة، الصبر على البأساء تصيب الأموال، والضراء تصيب الابدان، والزلزلة تصيب النفوس"(٤٠). ولقد بين الباري ﷻ بُشراه للصابرين، الذين يصبرون على ما ينتظرهم من ألوان البلاء والأذى، فقال:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ * أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].فعلى الدعاة الى الله أن يوطنوا أنفسهم على الصبر، وتحمل الأذى على ما يلقونه من أعداء دعوتهم؛ ذلك لأن الناس أعداء لما جهلوا، وأن تحويل الناس من عقيدة اعتنقوها وعاشوا بها فترة، ولو كانت فاسدة، الى أخرى لم يألفوها ـ وإن كانت عين الحق ـ أمر عسير على النفوس، صعب على القلوب، لأنها مهما كانت فاسدة لابد أن تترك لها أثرا في نفوس معتنقيها لا يزول بسهولة. ومن هنا نفهم أمر الله ﷻ لرسوله ﷺ أن يصبر على إيذاء قومه, قال تعالى:﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾[المزمل:١٠]. وقد حكى الله تعالى هذا النوع من الصبر على لسان الانبياء جميعاً فقال:﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[ابراهيم:١٢].

ثانياً: التقوى الداعي الى منهج الله أشد الناس قرباً الى الله، وخشية منه، وتقوى له سبحانه، فالتقوى هي التي تمنحك القوة والقدرة على تحمل الأذى وتجاوز العقبات، لتحقيق منهج الله في الارض، لذا ندب الباري ﷻ عباده الى التزام التقوى في مدافعة أذى الكافرين.

قال تعالى:﴿ وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].في هذه الآية نجد أن الخالق ﷻ قد بيّن جزاء المتقين، ونَوَّهَ بصفاتهم، وأثنى عليها. فكانت الصِّفة الأولى: الإنفاقُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ. والثانية: الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ، وكظمُ الغيظِ إمساكُهُ وإخفاؤُهُ حتى لا يظهر عَلَيه. والثالثة: الْعَفْوُ عَنِ النّاس فيما أساؤوا به إليهم، وهي تكملةٌ لصفة كظم الغيظ. وإذا اجتمعت هذه الصِّفاتُ في نفسٍ سَهُلَ ما دونها لديها(٤١). وقال تعالى:﴿ هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِّهِ وَإِذا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنَّا وَإِذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ* إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[آل عمران:١١٩-١٢٠] إنَّ المعاندين لدعوة الحق، من أهل الكتاب والمشركين، كان هَمُّهم الأكبر إطفاء نور الدعوة وإبطال ما جاء به الإسلام، وكان هَمُّ المؤمنين الأكبر نشرَ الدَّعوة وتأييدَ الحق، فكان الهَمَّان متباينين، والقصدان متناقضين. لذا جاء النهي عن محبة اليهود والمشركين للأسباب التِي بينكم من القرابة والرَّضاع والمُصَاهرة، لأن هؤلاء لا يحبونكم لِما بينكم من مُخالفة الدِّين. فإن أصاب المؤمنين حَسَنَةٌ بظهورهم على عدوهم، وغنيمة نالوها منهم، وتَتَابُعِ النَّاس في الدخول في الدين، تَسُؤهُم وتُحزنهم. وإن أصابتكم " مَسَاءَةٌ بِإِخْفَاقِ سَرِيَّةٍ لَكُمْ، أَوْ إِصَابَةِ عَدُوٍّ مِنْكُمْ، أَوِ اخْتِلَافٍ يَكُونُ بَيْنَكُمْ أَوْ جَدْبٍ أَوْ نَكْبَةٍ تُصِبْكُمْ يَفْرَحُوا بِها، وَإِنْ تَصْبِرُوا عَلَى أذاهم وَتَتَّقُوا وتخافوا رَبَّكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ، أَيْ: لَا يَنْقُصُكُمْ، كَيْدُهُمْ شَيْئاً" (٤٢).

ثالثاً: التوكل على الله: قال الجرجاني: "التّوكّل هو الثّقة بما عند الله، واليأس عمّا في أيدي النّاس"(٤٣). وقال ابن القيّم:" التّوكّل من أعظم الأسباب الّتي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه" (٤٤).قال تعالى:﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[المائدة:١١]. ذُكر فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ:" أَنَّ الْمُشْرِكِينَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ كَانُوا غَالِبِينَ، وَالْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَقْهُورِينَ مَغْلُوبِينَ، وَلَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ أَبَدًا يُرِيدُونَ إِيقَاعَ الْبَلَاءِ وَالْقَتْلِ وَالنَّهْبِ بِالْمُسْلِمِينَ، واللَّه تَعَالَى كَانَ يَمْنَعُهُمْ عَنْ مَطْلُوبِهِمْ إِلَى أَنْ قَوِيَ الْإِسْلَامُ وَعَظُمَتْ شَوْكَةُ المسلمين"(٤٥). فَاللَّه تَعالى بقدرته وحكمته، وبلطفه ورحمته كفَّ أيدي الكفار عن المسلمين، وهذا الإنعام العظيم من الله ﷻ يُوجب عليكم أن تَتَّقوا معاصيه، وتتوكلوا عليه لا على غيره في دفع الأذى الحاصل لكم. " فكُونُوا مُوَاظِبِينَ عَلَى طَاعَةِ اللَّه تَعَالَى، وَلَا تَخَافُوا أَحَدًا"(٤٦).قال تعالى:﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ* فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾[آل عمران:١٧٣-١٧٤]. إن الذين استجابوا لنداء الله ورسوله، رغم ما نالهم من الجراحات والألم، ولم يبالوا بأقوال الناس من أنّ الأعداء قد جمعوا لكم فاخشوهم، بل زادهم إيمانا بالله، وتمسكا به، واعتمادا عليه، وهتفوا قائلين حسبنا الله ونعم الوكيل. لقد عادوا دون أن يمسّهم سوء، بفضل الله ونعمته،

وبركة ما كان منهم من صبر، وجرأة وإيمان، واعتماد على الله. ولقد نالوا فوق ذلك رضوان الله ذي الفضل العظيم(٤٧). ففي مواجهة الأذى لابد من التوكل على الله والاعتماد عليه؛ لأنه تعالى القادر على كل شيء، وهو المقصود في كل الحوائج والأمور، ولولا معيته وحفظه لما تحقق النصر للمؤمنين.

رابعاً: الاحتساب عند الله تعالى.قال الكفويّ: " الاحتساب: هو طلب الأجر من الله تعالى، بالصّبر على البلاء، مطمئنّة نفسه، غير كارهة له" (٤٨). أي لما أصابها من الأذى والبلاء.قال تعالى:﴿ الَّذِينَ إذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ* أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٦-١٥٧]. قال القرطبي:" جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ مَلْجَأً لِذَوِي الْمَصَائِبِ، وَعِصْمَةً لِلْمُمْتَحَنِينَ: لِمَا جَمَعَتْ مِنَ الْمَعَانِي الْمُبَارَكَةِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ:" إِنَّا لِلَّهِ" تَوْحِيدٌ وَإِقْرَارٌ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالْمُلْكِ. وَقَوْلُهُ:" وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ" إِقْرَارٌ بِالْهَلْكِ، عَلَى أَنْفُسِنَا وَالْبَعْثِ مِنْ قُبُورِنَا، وَالْيَقِينُ أَنَّ رُجُوعَ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَيْهِ"(٤٩).وقال تعالى:﴿ وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[النساء: ١٠٤].الخطاب هنا للمسلمين أن لا يصيبهم الوهن، وليتيقنوا أن الأذى الذي يلقونه هو ذات الأذى الواقع لعدوهم، وأن إدراكهم لهذه الحقيقة واستحضارها عند المواجهة مع العدو، واحتسابهم للأجر عند الله، " وأن أي حال يكون عليها العدوّ لن تبلغ الحال التي يكونون هم عليها، من وثاقة الإيمان بالله، والثقة فيما عنده لهم من حسن الجزاء، وعظيم الثواب"(50).وقال تعالى:﴿ الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَقالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[آل عمران: ١٧٣].نلمس في هذه الآية أن بعضا من الناس جاءوا ليصدوهم ويخذلوهم فلم يستطيعوا، بل زادهم هذا القول إيمانا(وَقَالُواْ حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوكيل). " لقد فطنوا إلى أن قوة الله هي التي تنصرهم والله حسبهم وكافيهم عن أي عدد من الأعداد وهو نعم الوكيل"(٥١).

خامساً: الإعراض عن المؤذي. إن الاعراض عن المؤذي وتجاهله يرفع من قيمة العبد ومكانته، ويزيد من شأنه عند المدعوين الآخرين، وقد يكون سبباً في هدايتهم. ويعتبر هذا الأسلوب وسيلة ناجعة لرد الأذى، استخدمه الأنبياء والمصلحون حين قيامهم بواجب الدعوة الى منهج الله.قال سبحانه وتعالى:﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[الآحزاب:٤٨].هذه الآية تبين لنا حالة عامة تتكرر دوماً،" ففي سبيل كل دعوة إلى الخير والإصلاح يقف المنافقون، ومرضى القلوب والأخلاق حجر عثرة ، يثيرون الأفكار ، ويبثّون الوساوس والدسائس ويثبطون الهمم"(٥٢). فالواجب على الدعاة أن لا يأبهوا لهم، ولا يلتفتوا إليهم، ويعرضوا عن أذاهم، ويسيروا قدماً في طريق الخير والإصلاح الذي اضطلعوا به. وقال تعالى:" لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ"[آل عمران:١٨٦]. في هذه الآية يبين سبحانه لعباده أن الاختبار سيكون في الانفس والاموال، وأنهم سيسمعون من أهل الكتاب، ومن المشركين أذى كثيرا " والذي يُسمع هو كلام، وعبر عنه بالأذى لأنه يؤدي إلى أذى، وموضوعه أذى، وهو في ذاته أذى ، فكأن الأذى في ذات القول" (٥٣). وقد وصف الباري ﷻ هذا الأذى بالكثير؛ ليبين لهم أن الأذى الذي سيلاقونه ليس بالقليل في مقداره، ولا في نوعه، ولا في موضوعه، وهذا ما يوجب استعدادهم لسماعه. فالكثرة ليس المراد منها المقدار فقط، ولكنها تشمل المقدار والنوع، والطريقة والموضوع. وقد بين سبحانه العلاج من هذا البلاء، فقال:(وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ).

المبحث الثالث: إيذاء الله ورسله والمؤمنين

إن إيذاء الله ورسله والذين آمنوا سنة ثابتة وأمر حتمي، فكلما جاء نبي يدعو الناس الى منهج الله، ويحثهم على طاعته، انبرى رجال الملأ، وأصحاب المصالح، والطغاة، بالوقوف سداً منيعاً أمامها، وصد الناس عنها، وإلحاق الأذى بأصحابها بشتى الوسائل والأساليب، محاولين تشويه صورتها في أعين الناس؛ حسداً من عند أنفسهم، وخوفاً على مصالحهم. قال تعالى:" إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً* وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَإِثْماً مُبِيناً"[الأحزاب:٥٧-٥٨].

المطلب الأول: إيذاء الله سبحانه وتعالى

إن الله عَزَّ وَجلَّ مُنزَّهٌ عن أن يلحقهُ أذىً من أحد، ولكنّ عدم الايمان به، ونسبة الشريك إليه، و مخالفة أمره تعالى، وارتكاب معاصيه، ووصفه بما لا يليق به، يعتبر أذىً في حقه تعالى. يقول القرطبي:" اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي أذية الله بماذا تَكُونُ؟ فَقَالَ الْجُمْهُورُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَاهُ بِالْكُفْرِ وَنِسْبَةِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ إِلَيْهِ، وَوَصْفِهِ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ، كَقَوْلِ الْيَهُودِ لَعَنَهُمُ اللَّهُ: ﴿وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[المائدة:٦٤]. وَالنَّصَارَى:﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[التوبة:٣٠]. وَالْمُشْرِكُونَ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ وَالْأَصْنَامُ شُرَكَاؤُهُ" (٥٤). إن الله سبحانه وتعالى يرد على هؤلاء المنكرين، الجاحدين، الواصفين له تعالى بما لا يليق في مواضع كثيرة من كتابه الكريم. فهؤلاء اليهود مثلاً، الذين قالوا(يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) جاء

الرد منه تعالى لهم مفحماً لقولهم، ومزلزلاً لكيانهم. قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[المائدة:٦٤]. إن اليهود معروفون بكثرة الطمع وشدة الهلع ، يحسبون أن الفقر لا ينالهم أبدا، فإن منحوا خيرا نسبوه لأنفسهم وحيلتهم وعلمهم، وإن منع عنهم اتهموا ربهم، وهذا ليس شأن المذعنين لله، المؤمنين به، الذين يعلمون أنه يعطي ويمنع، ويعز ويذل بحكمة وتقدير.فكان الرد عليهم قوياً مباشرا (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا)، وفي" هذا تعليم من الله لنا بأن ندعو على من فسدت قلوبهم، وذهب بهم الطمع والجشع إلى نسيان ما يجب لذات الله العلية، وما ينبغي، فقالوا كلمتهم التي قالوها، وهي تدل على استهانة بالحقائق وذات الله سبحانه، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا"[٥٥].

المطلب الثاني: إيذاء رسل الله

إيذاء رسل الله، والنيل منهم، والصد عنهم، والوقوف في وجه دعواتهم، سنة ثابتة. فقد اقتضى نظام الكون أن يكون لهم أعداء يمكرون بهم، ويكيدون لهم، ويتربصون بهم الدوائر، فقد جعل الله لآدم إبليس، ولموسى فرعون، ولمحمد أبا جهل وأمثاله، قال تعالى:﴿ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾[الفرقان:٣١]. وقال أيضاً:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[الأنعام:١١٢].والقران الكريم يحدثنا عما أصاب المرسلين من الأذى والاضطهاد، فنوح ﷺ تحمل أذى قومه تسعمائة وخمسين سنة، وهم يزجرونه ويؤذونه، ويقولون عنه مجنون، ويمرون عليه وهو يصنع الفلك فيسخرون منه، ويستهزئون. قال تعالى:﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾ [القمر:٩-١٠]. وابراهيم ﷺ ألقي في النار ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾[الأنبياء:٦٩-٧٠]. وموسى ﷺ أوذي إيذاء شديداً، وقد قال الله ﷻ فيه ﴿ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾[الاحزاب:٦٩]. وعيسى ﷺ تآمروا عليه وحاولوا قتله ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[النساء:١٥٧]. ومحمد ﷺ تحمل مالا يتحمله أحد من الأذى، فقد شُجَّ في وجهه، وكُسِرَت رُباعِيَّتُه. وقيل عنه (شَاعِرٌ، سَاحِرٌ، مُعَلَّمٌ، مَجْنُونٌ) ومع كل هذا الأذى أوصاه ربه بالصبر والتحمل، فقال:﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

المطلب الثالث: إيذاء المؤمنين

على أهل الايمان أن يوطنوا أنفسهم على تحمل الأذى والعنت من أعدائهم، حين يدعونهم الى الحق الذي لم يعرفوه، ويريدون إخراجهم من الباطل الذي ألفوه. فلابد للإنسان المؤمن أن يضع هذه الحقيقة نصب عينيه ؛ لكي يكون مستعدا لكل طارئ يطرأ عليه وهو يقوم بتبليغ دعوته.قال تعالى:﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[العنكبوت:٢-٣]. إن إيذاء المؤمنين هو سبيل الطغاة الظالمين عندما يفشلون في مقاومة الحجة بالحجة، ودفع المبادئ بالمبادئ، وإن التاريخ ليحدثنا، وكتاب الله بين أيدينا يدلنا على أنه لم ينج نبي أو رسول أو مصلح قط من أذى الأفاكين المجرمين، وفي تعبير القران تصريح لا يحتاج الى توضيح بما يشعر بأن هذا الايذاء للداعين الى الحق، لم يخلُ منه جيل، ولم يفلت منه مصلح. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾[البروج:١٠]. هذه الآية جاءت في سياق قصة أصحاب الاخدود، حين تسلط الظلم والطغيان في أبشع صوره ، على الطهر والايمان في أجلى معانيه ، ولندع الآيات تتكلم عن بشاعة المنظر وهول المصيبة، قال تعالى:﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج:١-٩]. يقول الزمخشري:" إن السورة وردت في تثبيت المؤمنين، وتصبيرهم على أذى أهل مكة، وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان، وإلحاق أنواع الأذى، وصبرهم وثباتهم حتى يأنسوا بهم، ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم"[٥٦]. ومن هنا أمر ﷻ المؤمنين أن يستعينوا بالصبر والصلاة على ما يواجههم من محن في سبيل دعوتهم، فقال:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة:١٥٣].

الخاتمة

بعد أن تناول البحث سنّة الاذى في القران الكريم، وبيّن حقيقتها، خَلُصَ الى النتائج الآتية.

١- أن الاذى سنة من سنن الله الثابتة ذكرها القران في العديد من نصوصه.

٢- إن الأذى اصطلاحا: هو الضرر الواقع على الانسان في نفسه، أو جسمه، أو فئته، دنيويّا كان أو أخرويّا.

٣- إن من خصائص السنن الالهية أنها ثابتة لا تتغير ولا تتبدل.

٤- إن السنن الالهية حاكمة على الجميع فهي لا تحابي ولا تجامل أحداً.

٥- إن من خصائص السنن كونها مطردة لا تتوقف ولا تتأجل، عامة لا تنتقي ولا تنتخب.

٦- إن الإيذاء سبب في سخط الله- عزّ وجلّ- على العبد.

٧- إن أكثر الخلق تعرضا للأذى هم الانبياء والمصلحون.

٨- إن المؤذي يعيش في المجتمع منبوذا، يخاف النّاس أذاه، فيكرهون مخالطته ومصاحبته.

٩- إذا كثر المؤذون في مجتمع ما، وسكت النّاس عنهم فسدت أحواله وآل إلى الزّوال.

١٠-إن الاذى يسبّب العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع ، وهي دليل على سوء الأخلاق، وانحطاط النّفس، وخبثها.

١١-إن إيقاع الأذى على المؤمنين هو وسيلة الطغاة ورجال الملأ لإيقاف الدعوة.

١٢-إن من أهم أسباب وقوع الأذى الحسد والحقد على أهل الايمان.

١٣- إن الأذى الحاصل على المؤمنين يميز الصادقين من الكاذبين، ويمحّص الصف.

١٤- إن الدعوات الحقة جميعها تتعرض للأذى، ويبتلى أصحابها ويمتحنون حتى ينالوا إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة.

١٥-إن خير الوسائل لدفع الأذى الصبر والتقوى، والتوكل على الله، والاحتساب عند الله، والإعراض عن المؤذي.

هذه أهم النتائج التي توصل إليه البحث.

المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) دار المعرفة – بيروت .

٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، ١٩٧٣م .

٣- التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت: ١٣٩٣هـ) دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس ،١٩٩٧ م.

٤- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣ م.

٥- التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية– القاهرة، ١٣٨٣هـ.

٦- تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي، (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم ، مصر،١٩٩٧ م.

٧- تفسير القران العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ،١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .

٨- التفسير القرآني للقران، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة.

٩- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني الحسيني(ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠م.

١٠- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢ ، ١٤١٨هـ .

١١- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)،عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، ط١،١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

١٢- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

١٣- جامع الرسائل، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق : د. محمد رشاد سالم، دار العطاء – الرياض، ط١،١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

١٤- الجامع الكبير – سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.

١٥- الجامع لأحكام القران، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م .

١٦- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

١٧- السنن الالهية في الامم والجماعات والأفراد في الشريعة الاسلامية، د. عبدالكريم زيدان، دار إحسان للنشر والتوزيع ، طهران- ايران، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٨- الصبر في القران، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية- عابدين- القاهرة، ط٧، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٩- في ظلال القران، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق – بيروت- القاهرة، ط ١٧ ، ١٤١٢ هـ .

٢٠- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ .

٢٢- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ) تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٣- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣،١٤١٤ هـ .

٢٤- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م .

٢٥- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

٢٧- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١،١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

٢٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

٢٩- معالم التنزيل في تفسير القرآن ، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٣٠- المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ.

٣١- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ. .

٣٢- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ.

٣٣- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة ، لبنان- بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٣٤- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط٤.

٣٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

هوامش البحث

---

[١] لسان العرب، ابن منظور (٢٢٥/١٣).

[٢] النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٤٠٩/٢-٤١٠).

[٣] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى (٢٦٧/٣).

[٤] مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٠/١٣).

[٥] مفاتيح الغيب، الرازي (٣٦٩/٩).

[٦] تفسير المنار، محمد رشيد رضا (١١٥/٤).

[٧] السنن الالهية ، عبدالكريم زيدان (ص١٣).

[٨] كتاب العين، الفراهيدي (٢٠٦/٨).

[٩] لسان العرب، ابن منظور (٢٧/١٤).

[١٠] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى (ص٧٢) .

[١١] المفردات في غريب القران، الراغب (ص٧١) .

[١٢] التوقيف على مهمات التعاريف، لابن المناوي (ص٤٣) .

[١٣] المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي (ص٢٦).

[١٤] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (٢/ ٧٣)، و نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(١٦١- ١٦٢) .

[١٥] ينظر: السنن الالهية ، عبدالكريم زيدان (ص٥).

[١٦] وسورة الفتح، الآية ٢٣، وسورة فاطر، الآية ٤٣، ولكن بلفظ (فَلَن).

[١٧] جامع البيان، الطبري (٢٣٥/٢٢).

[١٨] ينظر: مفاتيح الغيب ، الرازي (٢٤٧/٢٦).

[١٩] السنن الالهية ، عبدالكريم زيدان (ص١٤).

[٢٠] جامع الرسائل، ابن تيمية (ص٥٤).

[٢١] تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٣٥٤/٥).

[٢٢] في ظلال القران، سيد قطب (٧٦٢/٢).

[٢٣] الكشاف، الزمخشري (٤٥٠/١).

[٢٤] الجامع لأحكام القران، القرطبي (٢٥١/٥).

[٢٥] إحياء علوم الدين ، الامام الغزالي (٣/ ١٩٨).

[٢٦] تفسير القران العظيم، ابن كثير(٤/ ١٩٤).

[٢٧] ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٤٤٣٣/١٠).

[٢٨] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة الزحيلي (٢٧٠/١).

[٢٩] السنن الالهية ، عبدالكريم زيدان (ص٩٣).

[٣٠] تفسير القران العظيم، ابن كثير (٢٦٣/٦).

[٣١] النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (١/١٥٥).

[٣٢] مدارك التنزيل، النسفي (٣/٦٤٤).

[٣٣] محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي(١/٤٤١).

[٣٤] أخرجه الامام أحمد في مسنده برقم (١٤٨١)، والترمذي في الجامع الصحيح برقم (٢٣٩٨)، وقال: "حديث حسن صحيح".

[٣٥] الكشاف، الزمخشري (١/٤٤٩).

[٣٦] مفاتيح الغيب، الرازي (٩/٤٥٣).

[٣٧] الصبر في القران، د. يوسف القرضاوي (ص١٧).

[٣٨] التحرير والتنوير، ابن عاشور (٤/١٠٤).

[٣٩] تفسير المنار، محمد رشيد رضا(٤/١٢٤).

[٤٠] الصبر في القران، يوسف القرضاوي (ص:١٤).

[٤١] ينظر: التحرير والتنوير(٤/٩٠-٩١).

[٤٢] معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي (١/٤٩٨).

[٤٣] التعريفات، الجرجاني (ص٧٤).

[٤٤] مدارج السالكين (٢/ ١٢٥) .

[٤٥] مفاتيح الغيب، الرازي (١١/٣٢١).

[٤٦] مفاتيح الغيب، الرازي (١١/٣٢١).

[٤٧] ينظر:التفسير الحديث، دروزة محمد عزت (٧/٢٧٠).

[٤٨] الكليات، الكفوي (ص ٥٧).

[٤٩] الجامع لأحكام القران، القرطبي (٢/١٧٦).

[50] التفسير القرآني للقران، عبد الكريم يونس الخطيب (٣/٨٨٧).

[٥١] تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (٣/١٨٧٦).

[٥٢] التفسير الحديث، دروزة محمد عزت (٧/٣٩٤).

[٥٣] زهرة التفاسير، أبو زهرة (٣/١٥٤٠).

[٥٤] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٤/٢٣٧).

[٥٥] زهرة التفاسير، محمد ابو زهرة (٥/٢٢٧٧).

[٥٦] الكشاف، الزمخشري (٤/٧٣٠).